المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك فيصل

كلية الآداب

قسم الدراسات الاسلامية

تفسير سورة البقرة من الآية (246 – 255)

بحث مقدم في مادة التدريب الميداني للفصل الدراسي الأول 1436هـ -1437هـ

إعداد الطالب / 0000000000000

الرقم الجامعي / 00000000000

الدكتور المشرف على البحث / د.أحمد بن فارس السلوم

الأستاذ المساعد لقسم الدراسات الإسلامية بالكلية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. نستهدف في بحثنا فضل الله على بني إسرائيل بإختيارهم على باقي الشعوب ، ومدى عصيانهم لأوامر الله سبحانه ولأنبيائه ، ذلك بأن الله إستجاب لطلبهم أن بعث لهم ملكاً يقاتلون معه في سبيله إلا أنهم كآبائهم الأولين ، فلم يأتهم أمر من الله أو أنبيائه إلا عصَوه وجادلوه ، وقبولهم مجبرَين للقاء العدو ، ومع فرار الكثير منهم وتبقي القليل إلا أن النصر بيد الله ، ليبين لنا سبحانه بتسلسل الآيات أن العبرة بقوة الإيمان به لا بل العدة والعدد.

وإتيان الله سبحانه الملك والنبوة لداؤود عليه الصلاة والسلام وتفضيل الرسل بعضهم على بعض ، إلى أن نصل إلى أعظم آية في كتاب الله سبحانه وهي آية الكرسي بذكر فضَلها وما ورد فيها من الأجر العظيم لقارئها ، وقد قسمته إلى أربعة مباحث :

الأول : عصيان بني إسرائيل لأنبيائهم.

الثاني : نصر الله وإتيان نبي الله داؤود الملك والنبوة.

الثالث : فضل الرسل بعضهم على بعض.

الرابع : فضل آية الكرسي.

راجين الله أن ينفع به ، ويكتب لنا ولكم الأجر والثواب.

الباحث

المبحث الأول

عصيان بني إسرائيل لأنبيائهم

جاء في تأويل قوله تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (البقرة :246)

يخبر الله سبحانه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بـ{ ألم تر } عن قصة بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام ، بعد موت كليم الله موسى { إذ قالوا لنبي لهم } قال السدي : شمعون ، وقال مجاهد : هو شمويل عليه السلام ، قال وهب بن منبه : أن النبوة قد إنقطعت من أسباطهم ، ولم يبق من سبط لاوي (نسل الأنبياء) إلا إمرأة حامل من بعلها وقد قتل ، فأخذوها وحبسوها في بيت ، واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاماً يكون نبياً لهم ، فسمته : شمويل أي : سمع الله ، فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم ، وأنبته الله نباتاً حسناً ، فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه ، وأمره الله بالدعوة إليه وتوحيده { ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا } أي : أن أشراف بني إسرائيل ورؤسائهم قد سألوا نبيهم أن يرسل الله لهم ملكاً يقاتلون معه في سبيل الله ، فرد عليهم بسؤال إستفهامي { هل عسيتم } أي : هل تعدون ، لعلمه أنهم أهل غدر ونكث للعهود { قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً } قال وهب بن منبه : كان بنو إسرائيل على طريق الإستقامة بعد موت موسى عليه السلام ، ثم أحدثوا في دينهم وعبد بعضهم الأصنام ، ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويقيمهم على منهج التوراة ، إلى أن فعلوا ما فعلوه ، فسلط الله عليهم أعداءهم ، فقتلوا منهم مقتله عظيمة ، وأسروا خلقاً كثيراً منهم ، وأخذوا أراضيهم ، ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه ، فلما كتب عليهم القتال نكثوا بما وعدوا به نبيهم ، والله عليم بهم[1].

وفي هذا تقريع من الله سبحانه لليهود في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ، في تكذيبهم ومخالفتهم أمر ربهم ، فإنهم أي : اليهود ، عصيتم الله وخالفتم أمره فيما سألتموه أن يفرضه عليكم إبتداءً من غير أن يبدئكم به ، وفي هذا الكلام متروك قد استغني بذكر ما ذكر عما ترك منه[2].

{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (البقرة :247).

---

[1] تفسير القرآن الكريم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (664/1)

[2] جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (107/1)

أي : رد عليهم نبي الله { إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً } قال وهب بن منبه : لما قال الملأ من بني إسرائيل لنبيهم ذلك ، سأل الله تعالى أن يبعث إليهم ملكاً ، ويدّله عليه ، فقال الله تعالى له : انظر إلى القرن[1] الذي فيه الدهن في بيتك ، فإذا دخل عليك رجل فنشّ[2] الدهن الذي في القرن ، فهو ملك بني إسرائيل ، فادهن رأسه منه ، وملّكه عليهم ، قال : كان طالوت دباغاً ، فخرج في إبتغاء دابة أضلها ، فقصد شمويل عسى أن يدعو له في أمر الدابة ، أو يجد عنده فرجاً ، فنش الدهن على ما زعموا ، قال : فقام إليه شمويل فأخذه ودهن منه رأس طالوت ، وقال له : أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى تقديمه ، ثم قال لبني إسرائيل : إن الله قد بعث طالوت ملكاً[3].

{ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } أي : كيف يكون ملكاً علينا ، ولم يكن من بيت الملك ، ولم يؤتى سعة من المال حتى نتبعه لشرفه أو لماله ، ونحن أحق منه فرد عليهم نبي الله : أن الله إختاره (وإختيار الله هو الحجة) ثم بين لهم مع ذلك وجه الإصطفاء : بأن الله زاده بسطة في العلم الذي هو ملاك الإنسان ، وأعظم وجوه الترجيح ، وزاده بسطة في الجسم الذي يظهر به الأثر في الحروب ، فكان قوياً في دينه وبدنه وهو المعتبر ، لا شرف النسب ، فإن فضائل النفس مقدمه عليه[4].

قال ابن عباس : كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجملّه وأتمّه ، وزيادة الجسم مما يهيب العدو ، وقيل : سمي طالوت لطوله ، وقيل زيادة الجسم بكثرة معاني الخير والشجاعة ، وقيل : زيادة العلم بأن أوحى الله إليه ، وعلى هذا كان طالوت نبياً[5].

{ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ } ذهب بعض المتأولين إلى أن هذا من قول الله سبحانه لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وقيل : هو من قول شمويل ، وهو الأظهر ، قال لهم ذلك لما علم من تعنتهم وجدالهم ، فأراد أن يتمم كلامه بالقطع الذي لا إعتراض عليه بإضافة ملك الدنيا إلى الله تعالى إضافة مملوك إلى ملك[6].

---

(1) القرن : الجعبه من جلود تكون مشقوقة ثم تخر.

(2) فنش : صوت الماء وغيره إذا غلى.

(3) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (231/2)

(4) فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني (170/1)

(5) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (233/2)

(6) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (233/2)

{ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم } أي : أن الله واسع بفضله ، فينعم به على من أحب ، ويزيد فيه من يشاء ، عليم بمن هو أهل لملكه ، وفضله الذي يعطيه ، فيعطيه ذلك لعلمه به ، وبأنه لما أعطاه أهل : إما للإصلاح به ، وإما لأن ينتفع هو به[1].

{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (البقرة : 248).

جاء في تأويل قوله تعالى { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } أن الملأ من بني إسرائيل لم يقروا ببعثة الله طالوت عليهم ملكاً ، ولكنهم سألوا نبيهم دلالة على صدق ما قال لهم ، أن يأتيهم التابوت الذي كانت بنو إسرائيل يقدمونه أمامهم إذا لقوا العدو ، فلا يظهر عليهم أحد ولا يقوم لهم معهم عدو ، حتى ضيعوا أمر الله ، وكثر إختلافهم على أنبيائهم ، فسلبهم الله إياه مرة بعد مرة ، يرده إليهم في كل ذلك ، حتى سلبهم مرةً فلم يردّه عليهم ، واختلف في معنى السكينة ، وأولى الأقوال بالحق : من الشئ تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها[2].

وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر عنه : أنه سئل عن تابوت موسى ما سعته؟ قال : نحو من ثلاثة أذرع في ذراعين ، وأخرج سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، عن ابن عباس قال : أن السكينة طست من ذهب من الجنة ، كان يغسل بها قلوب الأنبياء ألقي الألواح فيها ، ولم يثبت تفسير عن النبي عليه الصلاة والسلام وإلا لوجب علينا الأخذ والقول به ، بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوة القرآن ، كما في الصحيح عند مسلم (عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف ، وعنده فرس مربوط ، فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو ، وجعل فرسه ينفر منها ، فلما أصبح أتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام : تلك السكينة نزلت للقرآن)[3].

وقد اختلف المفسرون في كيفية إتيان التابوت ، وكيف كان بدء أمره ، فقال وهب بن منبه : كان التابوت عند بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصّوا فغلبوا على التابوت ، وصار التابوت عند القوم الذين غلبوا ، فوضعوه في كنيسة لهم فيها أصنام ، فكانت الأصنام تصبح منكسة ، فجعلوه في قرية قوم فأصاب أولئك القوم أوجاع في

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (107/1)

(2) جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (111/1)

(3) فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني (172/1-171)

أعناقهم ، وقيل جعل في مخرأة قوم ، فكان يصيبهم الناسور ، فلما عظم بلاؤهم قالوا : ما هذا إلا لهذا التابوت فلنرده إلى بلاد بني إسرائيل ، فأخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها ، وربطوها ببقرتين ، فأرسلوهما في الأرض نحو بلاد بني إسرائيل ، فبعث الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني إسرائيل ، وهم في أمر طالوت فأيقنوا بالنصر ، وقال قتادة ، والربيع : بل كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع بن نون ، فجعله يوشع في البرية ومرت عليه الدهور حتى جاء زمن طالوت ، وكان أمر التابوت مشهوراً عندهم في تركه موسى ، فجعل الله الإتيان به آية لملك طالوت ، وبعث الله ملائكه حملته إلى بني إسرائيل ، وروي أن الملائكة جاءت به تحمله حتى جعلته في دار طالوت ، فاستوثقت بنو إسرائيل عند ذلك على طالوت[1].

{ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ } قال أبو صالح : البقيّة عصا موسى وثياب هارون عليهما السلام ، ولوحان من التوراة ، وقال الثّوري : من الناس من يقول : البقيّة قفيز منّ في طست من ذهب ، وعصا موسى ، وعمامة هارون عليهما السلام ، ورضاض[2] الألواح.

ومعنى هذا ما روي من أن موسى لما جاء قومه بالألواح ، فوجدهم قد عبدوا العجل ، ألقى الألواح غضباً فتكسرت ، فنزع منها ما كان صحيحاً ، وأخذ رضاض ما تكسر ، فجعله في التابوت ، وقال الضحاك : البقيّة الجهاد وقتال الأعداء ، قال ابن عطيه : أي الأمر بذلك في التابوت ، إما أنه مكتوب فيه ، وإما نفس الإتيان به هو كالأمر بذلك ، وأسند التّرك إلى آل موسى وآل هارون ، من حيث كان الأمر مندرجاً من قوم إلى قوم ، وكلهم آل موسى وآل هارون ، وآل الرجل قرابته[3].

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } أي : على صدقي فيما جئتكم به من النبوة ، وفيما أمرتكم بطاعة طالوت ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر.

{ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (البقرة : 249).

---

[1] المحرر الوجيز ، لأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (223/1)

[2] الرضاض : الفتات

[3] الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (238/2-237)

جاء في تأويل قوله تعالى { فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ } أي : حين خرج طالوت في جنوده ومع من أطاعه من ملأ بني إسرائيل ، قال السدّي : كان الجيش ثمانين ألفاً[1] ، وعن عبدالله بن رجاء ، عن إسرائيل بن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال ((كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت ، الذين جاوزا معه النهر ، ولم يجاوز معهه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة))[2]

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ولا محالة أنهم كان فيهم المؤمن والمنافق والمجد والكسلان ، وقال وهب بن منبه : لم يتخلف عنه إلا ذو عذر من صغر أو كبر أو مرض ، واختلف المفسرون في النهر ، فقال وهب بن منبه : لما فصل طالوت ، قالوا له : إن المياه لا تحملنا فادع الله يجر لنا نهراً ، فقال لهم طالوت { إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي } قال قتادة : النهر الذي إبتلاهم الله به هو نهر بين الأردن وفلسطين ، وقال ابن عباس والسدّي : النهر نهر فلسطين ، ومعنى الإبتلاء أنه إختيار ، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء ، علم أنه يطيع فيما عدا ذلك ، ومن غلب شهوته في الماء وعصا الأمر ، فهو بالعصيان في الشدائد أحرى ، وروي أنهم أتوا النهر وقد بلغ منهم العطش مبلغه ، ولذلك رخص للمطيعين في الغرفة ليرتفع عنهم أذى العطش ، وليكسروا نزاع النفس[3].

{ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي } أي : من كرع ، فليس من أصحابي في هذه الحرب ، ولم يخرجهم من الإيمان { وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي } يقال : طعمت الشئ أي : ذقته ، ودّل ذلك على أن الماء طعام ، وإذا كان طعاماً كان قوتاً لبقائه وقوت للأبدان منه ، وفي سنن ابن ماجه : حدثنا واصل بن عبدالأعلى ، حدثنا فضيل ، عن ليث ، عن سعيد بن عامر ، عن ابن عمر قال : مررنا على بركة فجعلنا نكرع فيها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا تكرعوا ، ولكن إغسلوا أيديكم ، ثم اشربوا فيها ، فإنه ليس إناء أطيب من اليد))[4].

{ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ } الإغتراف : الأخذ من الشئ باليد وبآلة ، قال القرطبي : ((ومن أراد الحلال الصرف في هذه الأزمان دون شبهة ولا إمتراء ولا إرتياب ، فليشرب بكفّيه الماء من العيون والأنهار المسخرة بالجريان آناء الليل وآناء النهار ، مبتغياً بذلك من الله كسب الحسنات ووضع الأوزار واللحوق بالأئمة الأبرار)) قال النبي

---

[1] تفسير القرآن الكريم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (668/1)

[2] صحيح البخاري (3958)

[3] المحرر الوجيز ، لأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (225/1-224)

[4] ابن ماجه (2433)

صلى الله عليه وسلم ((من شرب بيده وهو يقدر على إناء يريد به التواضع كتب الله له بعدد أصابعه حسنات ، وهو إناء عيسى بن مريم عليهما السلام))[1].

{ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ } قال ابن عباس : شربوا على قدر يقينهم ، فشرب الكفار شرب الهيم[2] وشرب العاصون دون ذلك ، وانصرف من القوم ستة وسبعون ألفاً ، وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيئاً ، وأخذ بعضهم الغرفة ، فأما من شرب فلم يرو ، بل برّح به العطش ، وأما من ترك الماء فحسنت حاله ، وكان أجلد ممن أخذ الغرفة[3].

{ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } قال ابن عباس والسدّي : جاز معه في النهر أربعة آلاف رجل فيهم من شرب ، فلما نظروا إلى جالوت وجنوده وكانوا مئة ألف ، كلهم شاكون في السلاح ، رجع منهم ثلاثة آلاف وست مئة وبضعة وثمانون ، ونقل عن أكثر المفسرين : أنه إنما جاز معه النهر من لم يشرب جملة[4].

وقد وقع التمييز بينهم بعد لقائهم جالوت ، وجبن أهل الشرك والنفاق وهم من قال { لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } ومضى أهل البصيرة بمشيئة الله على بصائرهم ، وهم أهل الثبات والإيمان ، فقالوا { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } قال الطبري ((فإن ظن ذو غفلة أنه غير جائز أن يكون جاوز النهر مع طالوت إلا أهل الإيمان الذين ثبتوا معه على إيمانهم ، ومن لم يشرب من النهر إلا الغرفة ، لأن الله تعالى ذكره ، قال { فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } فكان معلوماً أنه لم يجاوز معه إلا أهل الإيمان ، لأن أهل الكفر لو كانوا جاوزوا النهر كما جاوزوه أهل الإيمان ، لما خص الله بالذكر أهل الإيمان ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن)) أما في قوله تعالى { وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } أي : أن الله معين الصابرين على الجهاد في سبيله وغيره من الطاعات ، ونصرهم على أعدائه الصادين عن السبيل ، المخالفين منهاج دينه[5].

جاء في قوله { وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (البقرة : 250).

---

(1) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (2/243-242)

(2) الهيم : داء يكسب شاربه العطش ، فيمتص الماء مصاً ولا يروى.

(3) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (2/244-243)

(4) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (2/244)

(5) جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (1/117)

كان جالوت أميراً على العمالقة ، وروي في قصة داود وقتله لجالوت ، أن أصحاب طالوت كان فيهم إخوة داود وهم بنو إبشي ، وكان صغيراً يرعى غنماً لأبيه ، فلما حضرت الحرب قال في نفسه : لأذهبن لرؤية هذه الحرب ، فلما نهض مرّ في طريقة بحجر فناداه : يا داود خذني تقتل جالوت ، ثم ناداه حجر آخر ، ثم آخر ، فأخذها وجعلها في مخلاته ، فلما حضر الناس خرج جالوت يطلب مبارزاً ، فكع الناس عنه حتى قال طالوت من يبرز له ويقتله فأنا أزوجه بنتي وأحكمه في مالي ، فجاء داود فقال : أنا أبرز له ، فقال طالوت : فاركب فرسي ، وخذ سلاحي ، ففعل وخرج في أحسن حلّه ، فلما مشى قليلاً رجع ، فقال الناس جبن الفتى فقال داود : إن كان الله لم يقتله لي ويعنّي عليه لم ينفعني هذا الفرس ، ولا هذا السلاح ، ولكني أحب أن أقاتله على عادتي ، قال : وكان داود من أرمى الناس بالمقلاع ، فنزل وأخذ مخلاته فتقلدها ، وأخذ مقلاعه وخرج إلى جالوت وهو شاك في سلاحه ، فقال له جالوت : أنت يا فتى تخرج لي؟ قال : نعم ، قال : هكذا كما يخرج إليّ الكلب ، قال : نعم ، وأنا أهون ، قال جالوت : لأطعمن اليوم لحمك الطير والسباع ، ثم تدانيا فأدار داود مقلاعه ، وأدخل يده إلى الحجارة ، وروي أنها التأمت فصارت حجراً واحداً ، فأخذه فوضعه في المقلاع ، وسمى بالله وأدار ورمى ، فأصاب به رأس جالوت فقتله ، وحز رأسه ، واختلط الناس وحمل أصحاب طالوت وكانت الهزيمة ، ثم إن داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له : إن بنات الملوك لهن غرائب من المهر ولا بد لك من قتل مائتين من هؤلاء الجراجمة الذين يؤذون الناس ، وتجيئني بغلفهم ، وطمع طالوت أن يعرض داود للقتل بهذه الفزعة ، فقتل داود منهم مائتين ، وجاء بذلك وطلب امرأته فدفعها إليه طالوت[1].

أما في قوله تعالى { قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } فقد تضرّع المؤمنون لما رأوا كثرة العدو بالدعاء والتثبيت والنصر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقي العدو يقول في القتال ((اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ، وأجعلك في نحورهم))[2] ودعا عليه الصلاة والسلام يوم بدر حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، يستنجز الله وعده[3].

---

(1) المحرر الوجيز ، لأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (226/1)

(2) أخرجه أحمد (19721)

(3) أخرجه أحمد (208) من حديث أبي موسى الأشعري ، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول ذلك إذا خاف قوماً.

المبحث الثاني

نصر الله وإتيان نبي الله داؤود الملك والنبوة

بعد أن أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم قصة ملأ بني إسرائيل وعصيانهم ، نستعرض في هذا المبحث الآيات الكريمة إنقلاب فئة من بني إسرائيل وتبدل حالهم إلى من حال إلى حال ، بفضّل الله ومنه :

قال تعالى { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة :251).

أي غلبوهم بنصر الله لهم ، وقتل داود جالوت ، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه إبنته ويشاطره نعمته ، ويشركه في أمره كما تقدم ، فوفى له { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ } قال السدّي : آتاه الله ملك طالوت ونبوة شمعون ، والذي علّمه هو صنعة الدروع ، ومنطق الطير وغير ذلك من أنواع ما علمه صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عباس : أن الله أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ، ورأسها عند صومعة داود ، فكان لا يحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة ، فيعلم داود ما حدث ، ولا يمسها ذو عاهة إلا برئ وكانت علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ، ثم يمسحوا أكفهم على صدورهم ، وكانوا لا يتحاكمون إليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت[1].

{ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } أي : لولا أنّ الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة والإيمان به ، بعضاً وهم أهل المعصية لله والشرك به ، كما دفع المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية ، وقد أعطاهم ما سألوا ربهم إبتداءً : من بعثة ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر ليقاتلوا جالوت وجنود ، لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم ، ففسدت بذلك الأرض ولكن الله ذو مّن على خلقه وفضل عليهم بدفعة بالبر من خلقه عن الفاجر ، وبالمطيع عن العاصي منهم ، وبالمؤمن عن الكافر.

وهذه الآية إخبار من الله تعالى ذكره أهل النفاق الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخلفين عن المشاهد والجهاد بسبب الشكّ الذي في النفوس ومرض القلوب ، والمشركين وأهل الكفر منهم وأنه إنما يدفع عنهم معاجلتهم العقوبة على كفرهم ونفاقهم بإيمان المؤمنين به وبرسوله ، الذين هم أهل البصائر والجدّ في أمر

---

[1] الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (249/2)

الله ، وذوو اليقين بإنجاز الله إياهم وعده على جهاد أعدائه وأعداء رسوله ، من النصر العاجل والفوز بجناته في الآجل[1].

قال أبوبكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أخبرنا علي بن إسماعيل بن حماده ، أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد ، أخبرنا زيد ابن الحباب ، حدثني حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة عن أبي أسماء ، عن ثوبان رفع الحديث قال ((لا يزال فيكم سبعة ، بهم تنصرون ، وبهم تمطرون ، وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله))[2].

وقال ابن مردويه : وحدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن جرير بن يزيد ، حدثنا أبو معاذ نهار بن عثمان الليثي ، أخبرنا زيد ابن الحباب ، أخبرني عمر البزار ، عن عنيسة الخواص ، عن قتادة ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون ، وبهم تنصرون)) قال قتادة : إني لأرجو أن يكون الحسن منهم[3].

وفي قوله تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } أي : منّ الله عليهم ورحمة بهم ، يدفع عنهم ببعضهم بعضاً ، وله الحكم والحكمة ، والحجة على خلقه في جميع أفعاله وأقواله[4].

وإختلف أهل العلم في الناس المدفوع بهم الفساد؟ فقيل : هم الأبدال ، وهم أربعون رجلاً كلما مات واحد بدّل الله آخر ، فإذا كان يوم القيامة ماتوا كلهم ، اثنان وعشرون منهم بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، وروي عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((إن الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، يسقى بهم الغيث ، وينصر بهم على الأعداء ، ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء))[5].

وخرّج الترمذي عن أبي الدرداء قال : ((إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض ، فلما إنقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يقال لهم : الأبدال ، لم يفضلوا بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بحسن خلقهم ، وصدق ورعهم ، وحسن نيتهم ، وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين ، والنصيحة لهم ، ابتغاء مرضاة الله بصبر

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (1/120-119)

(2) رواه عبدالرزاق في المصنف (20457)

(3) رواه الطبري في المعجم الكبير من طريق محمد بن الفرج عن زيد عن الحباب.

(4) تفسير القرآن الكريم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (1/670-669)

(5) أخرجه أحمد (896)

وحلم ولب تواضع في غير مذلة ، فهم خلفاء الأنبياء ، قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه ، وهم أربعون صدّيقاً ، منهم ثلاثون رجلاً على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن ، يدفع الله بهم المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس ، وبهم يمطرون ويرزقون ، لا يموت رجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه))[1].

وقال ابن عباس : ((ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون ، فقتلوا المؤمنين ، وخرّبوا البلاد والمساجد))[2]. وقال سفيان الثوري : ((هم الشهود الذين تستخرج بهم الحقوق)).

وقال سائر المفسرين : ولولا دفاع الله بالمؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض أي : هلكت[3].

وروى جابر[4]أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ، ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم))[5] .

أما في قوله تعالى { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } (البقرة : 252).

{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ } أي : هذه الآيات التي اقتص الله فيها أمر ملأ بني إسرائيل من بعد موسى حججه وأدلته على قدرة الله على تمليك طالوت أمر بني إسرائيل ، بعد أن كان سقاءً أو دباغاً من غير أهل بيت الملك ، وسلبي ذلك منه بمعصيته أمري ، وصرفي ملكه عنه إلى داود لطاعته ، ونصرتي أصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت وجنوده مع كثرة عددهم وشدة بطشهم ، وعلى من جحد نعمتي ، وخالف أمري ، وكفر برسولي من أهل الكتاب ، العالمين بما اقتصصت عليك من الأنباء الخفية التي يعلمون أنها من عندي ، ولم تتقولها يا محمد لكني أتلوها عليك بالحق اليقين كما كان ، لا زيادة ولا تحريف ولا تغيير شئ منه عما كان.

{ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } أي متبع لطاعتي وإيثار مرضاتي على هوى نفسك ، فسالك في ذلك من أمرك سبيل من قبلك من الرسل الذين أقاموا على أمري ، وآثروا رضاي على هوى أنفسهم ، ولم تغيرهم الأهواء وأطماع الدنيا ،

---

(1) أخرجه الترمذي في نوادر الأصول (262/1)

(2) أورده الواحدي في الوسيط (361/1) ، والطبرسي في مجمع البيان (292/2)

(3) تفسير البغوي (235/1)

(4) أخرجه الطبري (517-516-5)

(5) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (252/2-250)

كما غير طالوت هواه وإيثاره ملكه على ما عندي لأهل طاعتي ، ولكنك مؤثر أمري كما آثره المرسلون المتبعون من قبلك[1].

[1] جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (1/121-120)

المبحث الثالث

تفضّيل الرسل بعضهم على بعض

قال تعالى { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (البقرة : 253).

نصّ الله في هذه الآية على تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } دون تعيين المفضول ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((أنا سيد ولد آدم)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تفضلوني على موسى)) وقال صلى الله عليه وسلم : ((لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس ابن متى)) وفي هذا نهي شديد عن تعيين المفضول ، لأن يونس عليه السلام كان شاباً ، وتفسخ تحت أعباء النبوة ، فإذا كان هذا التوقيف فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فغيره أحرى ، فربط الباب أن التفضيل فيهم على غير تعيين المفضول ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آدم ، أنبي هو أم مرسل؟ فقال : ((نعم نبي مكلّم)) وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة ، فعلى هذا تبقى خاصة موسى[1].

وقيل : إنما نهى عن ذلك قطعاً للخصام في الأنبياء ، فيكون مخصوصاً بمثل ذلك لا إذا كان صدور ذلك مأموناً ، وقيل : إن النهي إنما هو من جهة النبوة فقط ، لأنها خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، ولا نهي عن التفاضل بزيادة الخصوصيات ، والكرامات ، وقيل : إن المراد النهي عن التفضيل لمجرد الأهواء العصبية وفي جميع الأقوال ضعف ، وعند الشوكاني : أنه لا تعارض بين القرآن والسنة ، فإن القرآن دّل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض ، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض ، فإن المزايا التي هي رأس التفضيل معلومة عند الله لا تخفى عليه منها خافية ، وليست بمعلومة عند البشر ، فقد يجهل أتباع نبي من الأنبياء بعض مزاياه وخصوصياته ، فضلاً عن مزايا غيره ، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً وهذا مفضولاً ، لا قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها ، فذلك تفضيل بالجهل ، وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له ، وهو ممنوع منه[2].

وفي قوله تعالى { مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } أي : موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم ، وما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل ، فإن قيل الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

[1] المحرر الوجيز ، لأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (227/1)

[2] فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني (172-173/1)

قال : ((استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالين ، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي ، فقال : أي خبيث ، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فجاء اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستكى المسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبلي ، أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء))[1] فالجواب عن ابن كثير من وجوه :

أحدها : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل بين الأنبياء ، وفي هذا نظر.

الثاني : أن ما قاله من باب الهضم والتواضع.

الثالث : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي يتحاكم فيها عند التخاصم والتشاجر.

الرابع : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

الخامس : ليس مقام التفضيل للبشر ، وإنما هو إلى الله عز وجل ، وعليكم الإنقياد والتسليم له[2].

قال النحاس : ((بعضهم)) هنا على قول ابن عباس والشعبي ومجاهد ومحمد صلى الله عليه وسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ، وأعطيت الشفاعة))[3] ومن ذلك القرآن ، وانشقاق القمر ، وتكليمه الشجر ، وإطعامه الطعام خلقاً عظيماً من تميرات ، ودرور شاة أم معبد بعد جفاف[4].

أما في قوله تعالى { وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ } أي : آتينا عيسى ابن مريم الحجج والأدلة على نبوته : من إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى وما أشبه ذلك ، مع الإنجيل المنزل ، فبينت فيه ما فرضت عليه ، وأعنّاه وقويناه بـ ((بروح القدس) وهو جبريل عليه السلام[5].

---

(1) صحيح البخاري رقم (3408)

(2) تفسير القرآن الكريم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (1/671-670)

(3) أخرجه البخاري (335) ومسلم (521) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد (21299) من حديث أبي ذر رضي الله عنه بنحوه.

(4) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (2/253-252)

(5) جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (1/122)

{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا } أي : من بعد الرسل ، قيل : الضمير لموسى وعيسى عليهما السلام ، وقيل : من بعد جميع الرسل ، وهو ظاهر اللفظ ، وقيل : إن القتال إنما وقع من الذين جاؤوا من بعدهم ، وليس كذلك المعنى ، بل المراد ما اقتتل الناس بعد كل نبي ، وكذلك النوازل إما اختلف الناس بعد كل نبي ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر بغياً وحسداً على الدنيا ، وذلك كله بقضاء الله تعالى وقدره وإرادة منه ، ولو شاء خلاف ذلك لكان ، ولكن الله مستأثر بسر الحكمة في ذلك[1].

{ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } أي : ولو أراد الله أن يعصمهم بتوفيقه إياهم عن معصيته ألا يقتتلوا ، ما اقتتلوا ولا اختلفوا ، ولكن الله يفعل ما يشاء ، بأن يوفق هذا لطاعته والإيمان به ، فيؤمن به ويطيعه ، ويخذل هذا فيكفر به ويعصيه[2].

وجاء في تأويل قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (البقرة : 254).

قال ابن جريج : هذه الآية تجمع الزكاة والتطوع ، وهذا كلام صحيح ، فالزكاة واجبة ، والتطوع مندوب إليه ، وظاهر هذه الآية مراد بها جميع وجوه البر : من سبيل الخير ، وصلة رحم ، ولكن ما تقدم من الآيات في ذكر القتال ، وأن الله يدفع بالمؤمنين في صدور الكافرين يترجح منه أن هذا الندب إنما هو في سبيل الله ويقوي ذلك قوله تعالى في آخر الآية { والكافرون هم الظالمون } أي : فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق الأموال ، وندب الله تعالى بهذه الآية إلى إنفاق شئ مما أنعم به ، وهذا غاية التفضل فعلاً وقولاً ، وحذر تعالى من الإمساك إلى أن يجئ يوم لا يكون فيه بيع ولا شراء ولا استدراك النفقة في ذات الله ، ولا خلة نافعة تقتضي المساهمة كما كانت في الدنيا ، وأهل التقوى بينهم في ذلك اليوم خلة ، ولكنها غير محتاج إليها ، وخلة غيرهم لا تغني من الله شيئاً ، وأن الشفاعة معدومة ، وهي انتداب الشافع وتحكمه على كره المشفوع عنده مرتفعة يوم القيامة ، فحقيقتها رحمة من الله تعالى ، لكنه شرّف الذي أذن له في أن يشفع ، وإنما المعدوم مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة[3].

---

(1) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (259/2)

(2) جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (123/1)

(3) المحرر الوجيز ، لأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (228/1)

وأخرج ابن المنذر ، عن سفيان قال : ((يقال نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن ، ونسخ شهر رمضان كل صوم)) وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : ((قد علم الله أن ناساً يتخاللون في الدنيا ، ويشفع بعضهم لبعض ، فأما يوم القيامة ، فلا خلة إلا خلة المتقين)) وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن عطاء قال : ((الحمد لله الذي قال { والكافرون هم الظالمون } ولم يقل : والظالمون هم الكافرون))[1].

وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام ، والمراد به خاص لأهل الكفر بالله ، لأن أهل ولاية الله والإيمان به ، يشفع بعضهم لبعض ، وفي قوله تعالى { والكافرون هم الظالمون } دلالة واضحة على صحة ذلك ، ومعناه : حرمان الكفار النصرة من الأخلاء ، والشفاعة لهم من الأولياء والأقرباء ، ولم تكن مشيئة الله عليهم بذلك ظالم لهم ، فكان ذلك جزاءً منه سبحانه لما سلف منهم لكفرهم في الدنيا ، بل أنهم أي : الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم[2].

---

[1] فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني (174/1)

[2] جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (125/1-124)

المبحث الرابع

فضل آية الكرسي

قال تعالى { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } (البقرة : 255).

فهذه آية الكرسي ولها شأن عظيم ، فقد صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا سفيان عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن عبدالله بن رباح ، عن أبي ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله ((أي آية في كتاب الله أعظم))؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فرددها مراراً ، ثم قال أبي : آية الكرسي ، قال عليه الصلاة والسلام ((ليهنك العلم أبا المنذر ، والذي نفسي بيده ، إن لها لساناً وشفتين ، تقدس الملك عند ساق العرش)).

وعن ابن عمر[1] عن عمر ابن الخطاب : أنه خرج ذات يوم إلى الناس ، وهم سماطات فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن؟ فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((أعظم آية في القرآن { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ })).

قال الحاكم أبو عبدالله في مستدركه : حدثنا علي بن حمشاذ ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا بن موسى ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثني حكيم بن جبير الأسدي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((سورة البقرة فيها آية سيدة آي القرآن ، لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه ، آية الكرسي)).

قال الحافظ أبوبكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا محمد بن عبدالله بن عمرويه الصفار ، حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا إسماعيل بن مسلم العبدي ، أخبرنا أبو المتوكل الناجي : أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة ، وكان فيه تمر ، فذهب يوماً ففتح الباب ، فوجد التمر قد أخذ منه ملء كف اليد ، ودخل يوماً آخر فإذا قد أخذ منه ملء كف اليد ، ثم دخل يوماً آخر ثالثاً فإذا قد أخذ منه مثل ذلك. فشكا ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((تحب أن تأخذ صاحبك هذا؟)) قال : نعم. قال صلى الله عليه وسلم : ((فإذا فتحت الباب فقل : سبحان من سخرك محمد)) فذهب ففتح الباب ، فقال : سبحان من سخرك محمد ، فإذا هو قائم بين يديه ، قال : يا عدو الله ، أنت صاحب هذا؟

---

[1] رواه الجورقاني في الأباطيل (712)

قال : نعم ، دعني فإني لا أعود ، ما كنت آخذاً إلا لأهل بيت من الجن فقراء ، فخلى عنه. ثم عاد مرة ثانية ، ثم عاد مرة ثالثة. فقلت : أليس قد عاهدتني ألا تعود؟ لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : لا تفعل ، فإنك إن تتركني علمتك كلمات ، إذا أنت قلتها لم يقربك أحد من الجن ، صغير ولا كبير ، ذكر ولا أنثى ، قال له : لتفعلن؟ قال : نعم. قال : ما هن؟ قال { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } قرأ آية الكرسي حتى ختمها ، فتركه فذهب فأبعد ، فذكر ذلك أبوهريرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أما علمت أن ذلك كذلك)).

وقد إشتملت على اسم الله الأعظم : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بكر ، أخبرنا عبيدالله بن أبي زياد ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }. و { الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } ((إن فيهما اسم الله الأعظم)).

قال ابن مردويه : أخبرنا عبدالرحمن بن نمير ، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل ، أخبرنا هشام بن عمار ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا عبدالله بن العلاء بن زيد : أنه سمع القاسم بن عبدالرحمن ، يحدث عن أبي أمامه يرفعه ، قال : ((اسم الله الأعظم الذي إذا دعي أجاب في ثلاث : سورة البقرة ، وآل عمران ، وطه)).

قال أبو بكر بن مردويه في فضل قراءتها بعد الصلاة المكتوبة : حدثنا محمد بن محرز بن مساور الأدمى ، أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن ، أخبرنا الحسين بن بشر بطرسوس ، أخبرنا محمد بن حمير ، أخبرنا محمد بن زياد ، عن أبي أمامه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت)).

قال أبوعيسى الترمذي : حدثنا يحيى بن المغيرة ، أبوسلمه المخزومي المديني ، أخبرنا ابن أبي فديك ، عن عبدالرحمن المليكي ، عن زراره بن مصعب ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قرأ { حم } المؤمن ، إلى : { إليه المصير } (غافر : 1-3) وآية الكرسي حين يصبح ، حفظ بهما حتى يمسي ، ومن قرأها حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح))[1].

---

[1] تفسير القرآن الكريم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (1/678-672)

وجاء في تأويل قوله تعالى { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } معناه : النهي أن يعبد شئ غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ، وهذه الآية إبانة من الله ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به المختلفين من بعد الرسل.

{ الْحَيُّ } يعني : الحياة الدائمة ، والبقاء الذي لا أول له بحد ، ولا آخر له بأمد ، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود ، وآخر ممدود ينقطع بإنقطاع أمدها ، وينقضي بإنقضاء غايتها.

واختلف أهل البحث في تأويل ذلك :

قال بعضهم : إنما سمى الله نفسه (حياً) لصرفه الأمور مصارفها ، وتقديره الأشياء مقاديرها ، فهو حي بالتدبير لا بحياة.

وقال آخرون : بل هو حي بحياة هي صفة له.

وقال آخرون : بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به ، فقلنا تسليماً لأمره سبحانه.

{ الْقَيُّومُ } أي : القائم برزق ما خلق وحفظه[1].

وقرأ ابن مسعود ، وعلقمة ، وإبراهيم النخعي ، والأعمش { الْحَيُّ الْقَيُّامُ }.

{ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ } ثم نفى الله عز وجل أن تأخذه سنة أو نوم ، وفي لفظ الأخذ عليه ما ، فلذلك حسنت في هذا الموضع بالنفي ، والسنة : بدّة النعاس ، وهو فتور يعتري الإنسان وترقيق في عينيه ، ولا يفقد معه كل ذهنه ، والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن.

والمراد : لا تدركه آفة ، ولا يلحقه خلل بأي حال من الأحوال ، فجعلت هذه مثالاً لذلك ، وأقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع.

ومما يفرق بين الوسن والنوم قول عدّي بن الرقاع :

وسنان أقصده النعاس فرتقت في عينيه سنةُ وليس بنائم.

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (1/127-126)

وبهذا المعنى فسر الضحاك والسّدي

وقال ابن عباس وغيره : السنة النعاس ، وقال ابن زيد : الوسنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل حتى ربما جرّد السلاح على أهله.

وروى أبوهريرة قال : ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر ، قال : وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه ، فأرسل الله ملكاً فأرقه ثلاثاً ، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قاروره ، وأمره أن يحتفظ بهما ، قال : فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ، ثم يسقط فيحبس إحداهما عن الأخرى حتى نام نومه فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان ، قال : ضرب الله له مثلاً أن لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض))[1].

{ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } أي : بالملك ، فهو مالك الجميع وربّه.

قال الطبري [2] : نزلت هذه الآية لما قال الكفار : ما نعبد أوثاناً إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

{ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } وتقرر هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة ، وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله ، ثم لا يشفعون إلا لمن إرتضى.

قال ابن عطيه[3] : والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون لمن يصل إلى النار وهو بين المنزلتين ، أو وصل ولكن له أعمال صالحه.

وخرّج ابن ماجه في سننه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يصف الناس يوم القيامة صفوفاً – قال ابن نمير : أهل الجنة – فيمر الرجل من أهل النار على الرجل ، فيقول : يا فلان ، أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟ فيشفع له ، ويمر الرجل على الرجل فيقول : أما تذكر يوم ناولتك طهوراً؟ فيشفع له))[4].

---

(1) المحرر الوجيز ، لأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (229/1)

(2) الأسماء والصفات ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (134/1)

(3) المحرر الوجيز ، لأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (341/1)

(4) الجامع لأحكام القران ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (274/2-271)

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } أي : أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن ، علماً لا يخفى عليه شئ منه ، والعالم الذي لا يخفى عليه شئ ، محيظ بذلك كله محص له دون سائر من دونه ، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يعلمه ، فأراد فعلّمه ، ويعني بذلك : أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً ، فكيف يعبد من لا يعقل شيئاً من وثن وصنم!

يقول : فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها ، لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها[1].

{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } أخرج الدارقطني في الصفات ، والخطيب في تاريخه عنه قال : ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ } قال : كرسيه موضع قدمه ، والعرش لا يقدّر قدره إلا الله عز وجل)).

قال ابن عباس : لو أن السماوات السبع ، والأرضين السبع بسطن ، ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كنّ في سعته : يعني الكرسي إلا بمنزلة الحلقة بالمفازة.

{ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } أي : لا يثقله ثقاله أدنى الشئ ، { العلّي } : يراد به علو القدرة والمنزلة ، قال الطبري : عن قوم أنهم قالوا : هو العليّ عن خلقه بإرتفاع مكانه ، عن أماكن خلقه.

{ العظيم } بمعنى : عظم شأنه وخطره ، قال الكشاف : إن الجملة الأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق ، وكونه مهيمناً عليه غير ساه عنه ، والثانية : بيان لكونه مالكاً لما يدبره.

قال ابن عباس : لا يثقل عليه ، وأخرج ابن أبي حاتم عنه { وَلَا يَئُودُهُ } قال : ولا يكثره ، وأخرج ابن جرير عنه قال : العظيم الذي قد كمل في عظمته[2].

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القران ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (1/129-128)

[2] فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني (1/175)

الخاتمة

الحمد لله الذي يسّر وقدّر للأمة علماء أجلاء وأعانهم على فهم كتابه واستنباط أحكامه وإن إختلفوا فالإختلاف رحمه ، فيجب على المؤمن والقارئ للتفاسير التدّبر حتى لا يقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة ويمكن أن نستخلص مما قرأناه ما يلي :

1- تذكير ليهود بني قريظة وبني النضير بأسلافهم ، وتحذيرهم بتكرار ما فعلوه مع نبيهم شمويل مع علمهم بصدق نبوته ، وعظة وعبرّه للمؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
2- أن النصر بيد الله سبحانه ، ولم يكن ولن يكون بالعدد والعدّة.
3- تفاضل الرّسل ومنزلتهم عند الله سبحانه.
4- حث المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله.
5- عظم الكرسي وسعته.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يقرأ كتابه فيتدبره ، وأن يحوز على الرضى والاستحسان ، وأن ينفعنا وإياكم به ، هذا والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

1- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى 774 هـ) ، ت.سامي بن محمد السلامة ، ط. دار طيبة 1420هـ.

2- المحـرر الـوجيـز فـي تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي (المتوفى 541) ، ط. دار ابن حزم.

3- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى 310هـ) ت. بشار عواد معروف ، عصام فارس الحرستاني ، ط. مؤسسة الرسالة.

4- فتح القدير ، لمحمد بن علي محمد الشوكاني (المتوفى 1250هـ) ت. يوسف الغوش ، ط. دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

5- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى 674 هـ) ت. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ط. دار الرسالة.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة	2
أ– المبحث الأول	3
تفسير الآية 246	4
تفسير الآية 247	5
تفسير الآية 248	6
تفسير الآية 249	8
تفسير الآية 250	10
ب–المبحث الثاني	12
تفسير الآية 251	13
تفسير الآية 252	15
ج–المبحث الثالث	17
تفسير الآية 253	18
تفسير الآية 254	20
د–المبحث الرابع	22
تفسير الآية 255	23
الخاتمة	28
فهرس المصادر والمراجع	29